



خطبة صلاة الجمعة 29/10/2021 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(الأمانة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلى بها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].
أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار: «مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

مع مطلع شهر ربيع الأول؛ شهر ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بدأنا سلسلة جديدة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج، عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلى بها). وهذه الخطبة الرابعة وعنوانها:

الأمانة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلى بها.

أيها الإخوة:

سبق أنّ الخلق: هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخلق اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة؛ فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله، ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

يتضافر العقل والنقل على أنّ الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام لا بُدّ أن يتّصفوا بأربع صفات رئيسة: الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة، ويستحيل عليهم أضدادها.

ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلّم حاز قَصَب السَّبْق في ذلك حتى لُقّب عند الجميع بالصادق الأمين.

وإذا كان حديث اليوم عن أمانته صلى الله عليه وسلّم وكيف تتحلّى بها، فإليكم هذه المواقف من السيرة العطرة:

1- اجتمع في دار الندوة رجال قريش وتمالؤوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ضربة رجل واحد، فأتى جبريل عليه السّلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: لَا تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فَرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبِثُ عَلَيْهِ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلّم عليّاً أن ينام على فراشه ويتسجّى ببرده وأمره أن يتخلّف بعده بمكة حتى يؤدّي عنه الودائع التي كانت عنده للنّاس، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلّا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلّم.

فقريش مع عدائها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم كانت تضع أماناتها عنده لعلمها أنّه الأمين، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم مع رؤيته لصناديد قريش يقفون على بابه يريدون قتله وتفريق دمه في القبائل لم يرض إلا أن يترك وراءه من يردّ الأمانة إلى أصحابها ويعيد الودائع إلى أهلها...!

يعلّق أحد الباحثين يقول: (ورُبّ قائل يقول: إنّ وراء الهجرة هدفاً أكبر بكثير من التمسك بجزئيات أخلاقيّة قد يسمح الظرف الخطير بتجاوزها، لكنّ منطق رسول الإسلام شيء آخر..

ما الفرق بين الإسلام وبين المبادئ الأخرى إذا كان هو متأسياً بها في تخليه عن أخلاقيّاته في ساعات المحنة والخطر؟!

وماذا سيقول المشركون لو غادر (الأمين) مكة دون أن يردّ إليهم أمانتهم؟ ما أسرع ما يمكن أن يتّهموه، حيث يأكلهم الغيظ: الأمين تحوّل إلى سارق، وضاعت الأمانة.. وحاشاه!).

فالمسلم تخبر أخلاقه الناس عن عظيم معتقده قبل أقواله.

وهذه واحدة في أمانته صلى الله عليه وسلم في ردّ الودائع.

2- أخرج الإمام الطبراني في المعجم الكبير: (كان عثمان بن طلحة سادّ الكعبة، فلمّا دخل النّبيّ صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السّطح، فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح، فقبل: إنّه مع عثمان، فطلب منه فأبى وقال: لو علمت أنّه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين، فلمّا خرج سأله العباس رضي الله عنه أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السّقاية والسّندانة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

[النساء:58]، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً أن يردّ المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك عليّ، فقال له عثمان: يا عليّ، أكرهت وأذيت ثمّ جئت ترفق؟! فقال: لقد أنزل الله تعالى في شأنك، وقرأ عليه هذه الآية، فقال عثمان: أشهد أنّ محمداً رسول الله، وأسلم رضي الله عنه، وقال صلى الله عليه وسلم: «خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ بِأَمَانَةِ اللَّهِ لَا يَنْزِعَهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ».

إنّها أمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمانة التربية الإسلامية.

3- جاء في كتب السّير أنّ قريشاً جاءت النّبيّ صلى الله عليه وسلم مراراً تدعوه إلى أن يكفّ عن دعوته، وهدّدته حيناً وأغرته حيناً بالمال والنساء، وقد قال عتبة بن ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاّ جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاّ، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطّب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ذلك حاملاً أمانة الدّعوة مؤديّاً واجبها يقول: «يا عمّ، والله لو وضعوا الشّمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتّى يظهره الله، أو أهلك فيه».

إنّها أمانة النّبيّ صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرّسالة.

فالأمانة خُلِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معروف به، والمتوقع أن تكون الأمانة صفتك، وأن تكون معروفاً بها.

عرّف العلماء الأمانة بأنها: (خُلِقَ يعفّ به الإنسان عمّا ليس له، ويؤدّي به ما عليه).

- لاجئ سوريّ في ألمانيا يشتري أثاث منزل مستعمل فيجد في إحدى أدوات المطبخ ما يقارب العشرة ملايين ليرة سورية فيردّها إلى صاحبها الألمانيّ الذي اشترى منه الأثاث!

إنّها الأمانة؛ خلق يعفّ به الإنسان عمّا ليس له، ويؤدّي به ما عليه.

- دفع مواطن فاتورة الكهرباء لإحدى نوافذ شركة الكهرباء العامة، ولما عاد بعد شهرين ليدفع الفاتورة الجديدة سأله موظف الجباية، ألسنت الذي دفعت الفاتورة الماضية بمبلغ مقداره كذا؟

فردّ الرجل بالإيجاب، فقال الموظّف: لقد ظهر لي بعد انصرافك في المرّة الماضية أنّك أخطأت في عدّ المبلغ، ولك زيادة عندنا مقدارها ألف ليرة، وانتزع الموظّف ألف ليرة مع صورة للفاتورة القديمة كان قد ألصقها على الجدار قبالته ليردّ للمراجع الألف متى عاد إليه.

إنّها الأمانة؛ خلق يعفّ به الإنسان عمّا ليس له، ويؤدّي به ما عليه.

- عالج طبيب الأسنان أحد مرضاه بوضع حشوة محافظة على نحر بسيط، ولكنّ المريض عاد بعد شهرين يشكو سقوط جزء من الحشوة، فأعاد الطّبيب صناعة حشوة جديدة للسنّ، ولما أراد المريض دفع التكاليف مرّة جديدة، رفض الطّبيب وأعلمه أنّ هذا السقوط السريع للحشوة ينمّ عن خلل في العلاج الماضي وأنّه ملتزم بإصلاحه من دون مقابل.

إنّها الأمانة؛ خلق يعفّ به الإنسان عمّا ليس له، ويؤدّي به ما عليه.

- اسودّت شاشة الهاتف المحمول لإحدى السيّدات فلم تعد تضيء بشيء، ذهبت به إلى صائن الجوّالات، فظنّ بادئ الرأي أنّه محتاج إلى تغيير شاشته وأعلمها بالسّعر العالي للشّاشة، فوافقت على الإصلاح، وطلب إليها العود من الغد..

فلما عادت حاملة المبلغ المرقوم وجدت جهازها سليماً صالحاً، فأخرجت المبلغ تعطيه للعامل، ففاجأها أنّه يريد خمسة آلاف ليرة سورية فقط، فعجبت من ذلك!

فأخبرها أنّه عندما فكّ شاشة الجهاز وجد تكّلساً على أزار اللمس احتاجت إلى تنظيف بسيط فقط، وبه عاد الجهاز للعمل ولم يحتاج إلى تبديل شاشته.

إنّها الأمانة؛ خلق يعفّ به الإنسان عمّا ليس له، ويؤدّي به ما عليه.

- في واحدة من المدارس الخاصة اضطر مدرّس مادة الرياضيات إلى الغياب خلال العام عن شعبة الثالث الثانوي أسبوعين، فلمّا عاد جعل يدعو الطّلاب إلى القدوم يوم الجمعة ويوم السّبت لعدد من الأسابيع ليعوّض لهم ما فاتهم ويؤمّم لهم المقرر.

إنّها الأمانة؛ خلق يعفّ به الإنسان عمّا ليس له، ويؤدّي به ما عليه.

- سئل عليّ بن المديني عن أبيه؟ وعليّ بن المديني من رجال الجرح والتعديل المعتمد على قولهم، وكان أبوه محدّثاً مشهوراً، لَين الحديث.

فقال: "اسألوا غيري"، فقالوا: سألناك!

فأطرق، ثم رفع رأسه وقال: "هو الدّين، أبي ضعيف".

إنّها الأمانة؛ خلق يعفّ به الإنسان عمّا ليس له، ويؤدّي به ما عليه.

هذه المواقف وأشباهها تنبيك عن فضل الأمانة ومنزلة أهلها.

أيّها الإخوة:

لعلّ أهمّ ما في هذه الخطب هذه الفقرة العمليّة التي ستتكرّر فيها بإذن الله.

كيف يتحلّى المرء بالأمانة؟

العلم والصّحبة ومجاهدة النفس، ثلاثة تعين على الأمانة:

أمّا العلم فليتعلم المرء ماله وما عليه، فيؤدّي ما عليه ويعفّ عمّا ليس له.

وأمّا المجاهدة فالمراد أن يخالف المرء نفسه ويحملها على التزام حدّها وعدم تجاوزه.

وأمّا صحبة الأئمّة فتعدي كما أنّ صحبة الخائنين تردي.

أيّها الإخوة:

في شهر ربيع أكثروا من الصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فإنّه من صلّى عليه صلّى عليه، ومن سلّم عليه سلّم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلّى الله عليه وسلّم وأخلاقه، وسنّته وسيرته، ليكون النّبّي حاضراً فينا وتكون سنّته ماثلةً بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]

والحمد لله رب العالمين